قراءة في ومضة "ضجيج" لأسماء عطة

عباس طمبل، السودان

ضجيج

فررتُ إلى وحدتي من قسوة يوم مكتظ بالضوضاء.. سمعت للصمت جلبة، التفتُ لظلي وابتسمت.

سأبدأ مقالتي بهذه العبارة التي نُسبت للجاحظ وقال فيها: "الأفكار ملقاة على قارعة الطريق" ونرى أن فكرة جدلية الظل والذات قد استهلكت في المجموعة عن طريق عدة ومضات نُشِرت من قبل ومنها على سبيل المثال في مجموعة "عناق ظلال مراوغة" للأستاذ جمعة الفاخري الذي تكرم بنشر عدة ومضات منها، وكذلك الأستاذ عصام الشريف والأستاذ يوسف الكيمتي، لذلك يحتاج كاتب الومضة القصصية الي تأنٍ في إنتاجه حتى لا يقع في فخ الأفكار المكررة التي تجعل نصوص الومضة القصصية في الغالب بلا طعم إن كُررت فكرتها أكثر من مرة، حتي إن عُولجت وفق سياقات نصية مختلفة من كاتب لآخر كلٌ حسب حالته النفسية حين كتابته للنص وتراكماته المعرفية والثقافية التي تختلف من بيئة لبيئة ومن مجتمع لآخر. وعلى مدي عام من تاريخ تأسيسنا للمجموعة قل ما وجدنا نصوصًا فارقة مميزة توضح

لنا مدي تطور العقل المترجم لهذا الجنس الأدبي المراوغ الملتبس الذي لا زال في طور التجريب والتنظير فنًا ونقدًا..

وهنا في هذه الومضة القصصية للكاتبة المغربية أسماء عطة يأبي الجسد إلا أن يفر إلى ركن قصيٍّ قابع في زاوية ما ويكون أنيسًا مع ظله عندما يفر من قسوة الحياة، وقد نجد في الكثير من الأحيان الظل هو الأنيس وهو المرآة التي يقف أمامه الجسد كي يتجمل للتواصل مع الذات والإنصات لها بعيدا عن ضجيج الحياة، لذلك البداية الحدثية بالفعل الماضي (فررتُ الي وحدتي) قد تمثل تكرار هذا الفرار الذي كفل للراوي أن يسمع للصمت صخبًا وضجيجًا، لذلك ما كان له إلا أن ينظر لظله ويبتسم وهو ما جعله يعطي لهذه الشخصية خصوصيتها وثراءها.

إذا تطرقنا للمدى الزمني لنص الومضة نجد أنه قصير نسبيًا ويلتقط لحظة زمنية فارقة في حياة الشخصية الرئيسية، ما بين الفرار من الوحدة والالتفات لظل، والابتسامة التي قد تكون الفعل المحفز لمواصلة الفرار كلما زادت أعباء الحياة.

الشخصيات نستشفها من سياق السرد، على أنه شخصية رئيسية تعاني من ضغط الحياة وتسطير عليه همومها حتي صمته يسمع له ضجيجا وصخبا، والشخصية المساعدة تمثل الظل التي قد تمثل رمزية لشخصية ما

لصيقة بالراوي وهنا تأويل هذه الومضة مفتوح لكل قارئ يزينها بالإطار المناسب حسب حالته النفسية..

البداية حدثيه بالفعل الماضي (فررت) والنهاية أيضًا كذلك بالفعل الماضي ابتسمت، مما يوحي بأنه حدث انقضى قبل زمن التكلم وقد يكون مستمرًا يوحي باستمرارية حياة الراوي التي تسير بشكل مرهق.

مكان الحدث غير معلوم في النص، لكننا نستشف أنه مكان ما أو حوار يدور بين الراوي وظله داخل عقله، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الراوي يعيش في مجتمع يعاني في سبيل كسب عيشه كحال المجتمعات العربية التي أنهكها غلاء المعيشة.

المدي الزمني للنص هنا الفعل الماضي غير المحدد. أسلوب السرد: الومضة مروية بضمير المتكلم. والمنظور السردي: في الغالب نجد أن الومضات المروية بضمير المتكلم منظورها داخلي لأن الراوي مشارك في الحدث وصانع له، إلا إذا كانت هناك شخصيات أخرى يسلط الراوي عليها الضوء في النص فنجده قد يستخدم منظورًا خارجيًا وهذا ما ورد في كتاب (خطاب الحكاية) لجيرار جينيت.

العنوان (ضجيج) هنا قد يمثل حالة الصخب واللهث لملاحقة متطلبات الحياة لهذا المجتمع الذي يعيش فيه الراوي وقد أتى عنوانًا محايدًا بحيث كفل

للومضة فهمها دون اللجوء لعنوانها، وهو الأمر الذي ظللنا ننادي به منذ زمن على مجموعة "سنا الومضة القصصية" هو تحرر النص عن أسر عنوانه حتي يدرج تحت بنود النصوص السردية ويتوفر فيه أدني مقومات القص. وقد تكون المفارقة حدثيه بسماع الشخصية للصمت ضجيج وضوضاء ثم التفات الراوي لظله وابتسامه..